

## الجزائر وفرنسا... والحق على الآخر



حسنا، استطاعت الجزائر بفضل نضال طويل خاضه شعبها الحصول على الاستقلال. هذا لا يمنع أن جرائم ارتكبت في حق جزائريين آخرين وأجانب كانوا يقيمون في الجزائر في مرحلة حرب الاستقلال. كذلك، ليس ما يمنع طرح سؤال من نوع هل استطاعت الجزائر المستقلة أن تكون أفضل من "الجزائر الفرنسية"؟

ليس طبيعياً تعليق كل مشاكل الجزائر على شماعة الاستعمار. الاستعمار ولى إلى غير رجعة وفرنسا قدمت أكثر من اعتذار غير مباشر. هناك عقدة جزائرية اسمها إلقاء الفضل على الآخر بدل امتلاك شجاعة الاعتراف بأن النظام الذي قام منذ 1962 أخذ البلد من فشل إلى آخر وببد ثرواته...

1994؛ ولماذا تستثمر الجزائر في جبهة "البوليساريو" التي تلعب دوراً سلبياً في مجال التعاون في مكافحة الإرهاب في منطقة ما يسمى الشريط الصحراوي؟ مؤسف أن النظام الجزائري لا يفوت فرصة من أجل الهروب إلى الأمام، وهو هروب من أزمته الداخلية العميقة، إلا ويستغلها. يرفض هذا النظام الذي تسيطر عليه المؤسسة العسكرية الاعتراف بأن الاستثمار في الماضي لا فائدة منه. ما يفيد هو الاستثمار في المستقبل وفي علاقات مختلفة مع دول الجوار ومع دولة مثل فرنسا ذهبت بعيداً في الاعتراف بجرائم ارتكبتها في الجزائر بعدما ظنت طويلاً أن الجزائر ستبقى "فرنسية".

ذهبت أموال النفط والغاز الجزائريين؟ ما فضل فرنسا على الجزائر في مجال زيادة مساحتها، على حساب دول جارة مثل المملكة المغربية أخذت منها أرض هي جزء لا يتجزأ من ترابها الوطني؟ نعم، ظلم الاستعمار الفرنسي الجزائر، لكن ذلك يجب ألا يحول دون التساؤل لماذا طموح كل جزائري الهجرة إلى فرنسا؟ قبل أن يفرض النظام الجزائري شروطاً على فرنسا من أجل التصالح معها، من الأفضل أن يتصالح مع الجزائريين أنفسهم ومع جيرانه أولاً. هل هناك رئيس جزائري يتجزأ أن يطرح على نفسه سؤالاً من نوع لماذا الحدود مع المغرب مغلقة منذ العام

تضرروا جراء هذه التجارب وتحولوا إلى ضحايا، لكن ما لا يمكن تجاهله في الوقت ذاته أن هناك ما يثبت أن فرنسا استخدمت الصحراء الجزائرية في مرحلة ما بعد الاستقلال بموجب اتفاقات مع النظام الجزائري. نشر في مقال لصحيفة "لوموند" نشر أخيراً، لخص رضا مالك، الذي تفاوض مع الفرنسيين كاحد ممثلي جبهة التحرير الوطني، في تصريح أدلى به في سياق برنامج وثائقي عنوانه "الجزائر، ديغول والقنبلة" الذهبية التي تحكمت في الجانب الجزائري المفاوضات. قال مالك الذي كان يشارك في المفاوضات من أجل الاستقلال "إذا كان لديهم (لدى الفرنسيين) ما يريدون تفجيرهم، ليفعلوا ذلك في أقرب وقت ولنتوقف عن الحديث في هذا الموضوع".

لم تغادر فرنسا الصحراء الجزائرية كلياً بعد الاستقلال، حسب "لوموند"، وهي صحيفة جديّة وموثوقة بها، في معظم الأحيان، بل تفاوضت مع نظام هواري بومدين كي تحتفظ حتى العام 1978 بقاعدة في الصحراء من أجل القيام بتجارب على أسلحة كيميائية. وهذا ما أكده الضابط الجزائري الكبير مصطفى بنليس الذي ذكر في كتاب صدر في العام 2017 أن القاعدة الفرنسية في الصحراء الجزائرية بقيت حتى العام 1986.

لا بد من امتلاك حد أدنى من الجرة للاعتراف بأن الاستعمار الفرنسي للجزائر لم يكن كله سيئات. إذا كانت هناك مؤسسات جزائرية تؤكد وجود دولة، فهذه المؤسسات هي تلك التي أنشأها الاستعمار. إنهما من بقايا الاستعمار. لم ينشئ النظام الذي قام بعد الاستقلال سوى مؤسسات أمنية تمنع الجزائريين من التفكير بحرية وتمنعهم قبل أي شيء آخر من طرح أسئلة حقيقية من نوع: أين

ديغول على خطوة في غاية الجرة عندما أعلن عن تنظيم استفتاء من أجل تمكين الجزائريين من تقرير مستقبلهم. انتصر بالقوة على الجنرالات الفرنسيين المتمردين، من بينهم الجنرال سالان. كان هدف هؤلاء بقاء الجزائر أرضاً فرنسية. كان هؤلاء الجنرالات الذين أسسوا بعد ذلك "منظمة الجيش السري" الإرهابية، التي قامت بأكثر من محاولة لاغتيال ديغول، يسمون الجزائر "الجزائر الفرنسية".

النظام الذي قام بعد الاستقلال لم ينشئ سوى مؤسسات أمنية تمنع الجزائريين من التفكير وتمنعهم قبل أي شيء آخر من طرح أسئلة حقيقية من نوع أين الجزائريين؟

منذ ما بعد ديغول، أقدم كل رئيس فرنسي على خطوة في اتجاه الجزائر والتصالح معها. لا يمكن تجاهل ما قام به الرئيس جاك شيراك ولا فرانسوا هولاند الذي سار خطوات إلى الأمام في اتجاه الاعتذار من الجزائريين ولكن من دون لفظ كلمة اعتذار. ذهب ماكرون إلى أبعد من الاعتذار عندما قال إن "الاستعمار جريمة في حق الإنسانية". ما الذي تريده الجزائر وما الذي تسعى إليه؟ تريد حالياً اعتذاراً وتريد في الوقت ذاته تعويضات فرنسية عن تجارب نووية وأخرى لأسلحة كيميائية أجزتها فرنسا في الصحراء الجزائرية. هناك مواطنون جزائريون



لا يوجد مكان سوى للعقل والتفكير عندما يتعلق الأمر بالعلاقات الفرنسية - الجزائرية بين بدء الاستعمار الفرنسي في 1830 واستقلال الجزائر في 1962. إذا كان مطلوباً نبش التاريخ، في الإمكان تنضية سنوات وسنوات في نقاش لا طائل منه بدل التطلع إلى المستقبل في محاولة للاستفادة من تجارب الماضي وتجاوزها.

عاد موضوع العلاقات الفرنسية - الجزائرية إلى الواجهة مع تقديم المؤرخ بنيامين ستورا، وهو يهودي من أصل جزائري، تقريراً إلى الرئيس إيمانويل ماكرون، بناء على طلب الأخير.

من قراءة مقاطع في التقرير الذي وضعه ستورا، يتبين قبل كل شيء أنه متوازن إلى حد كبير. الرئيس الفرنسي نفسه قال في العام 2017 إن "الاستعمار جريمة في حق الإنسانية". هذا يعني أن ماكرون أراد أن يكون منصفاً، وذلك برفضه تجاهل الجرائم التي ارتكبتها الاستعمار الفرنسي طوال 132 عاماً. في الواقع، أراد الرئيس الفرنسي، الذي يمتلك عقلية منفتحة، تجاوز كل عقد الماضي وفتح كل الدفاتر القديمة من دون عقد. يشمل ذلك في طبيعة الحال الممارسات التي لجأ إليها الاستعمار، خصوصاً منذ العام 1954 عندما انطلقت الثورة الجزائرية في وقت كانت فرنسا مصممة على بقاء الجزائر أرضاً فرنسية.

أراد الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول طي صفحة الجزائر بعد الدور الأساسي والمحوري الذي لعبه في تصفية الاستعمار واستقلال الجزائر في العام 1962. أقدم

## الرئاسة الأكبر من الرئيس

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
أسسها 1977

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدير التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

الأسود العراقي 2019، وقعت لقتل المتظاهرين المطالبين بـ"إيران بره بره"، ثم حاول مرتكبوها الحقيقيون إلصاقها بداعش، أيضاً، إلا أن حكومة عادل عبدالمهدي أعلنت صراحة أن من قام بها هو "الطرف الثالث" الذي لا سلطان لها عليه. ثم جاء ما تلاها من هجمات بالسكاكين والهراوات والقنابل الحارقة والرمم الحبي على المتظاهرين ليفضح هوية الممثل الذي تحميه الفصائل، وتتستر عليه الحكومة، ليؤكد براءة داعش من دم المقتولين والمخطوفين والمصابين من شباب الانتفاضة.

وسواء كان الانتحاريان اللذان قتلوا كل هذا العدد من المواطنين البسطاء الأبرياء من بقايا داعش أو من غيره، فإن الجريمة قد وقعت، وإن الحكومة تتحمل كامل المسؤولية عن حدوثها.

ليس من المحتمل أن تكون جريمة ساحة الطيران رسالة من "طرف ثالث" إلى الولايات المتحدة تطالبها بالرحيل النهائي عن العراق، وإفساح المجال أمام الحرس الثوري والحشد الشعبي لامتلاكه، وحدهما، دون شريك؟ ثم، ليس من المحتمل، أيضاً، أن يكون الهجوم بالصواريخ الذي أعقب مجزرة رسالة لساحة الطيران، من نفس "الطرف الثالث" إلى الرئيس الأمريكي الجديد وإلى الكاظمي وإلى المتظاهرين لتبصيرهم، جميعاً، بأن قبضة إيران هي الوحيدة المسكة بحالة الحرب والسلام في العراق والمنطقة؟

والمحزن أن رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة يتوهم بأن طرد قادة أمنيين ووضع آخرين مكانهم من نفس نسيج الحكومة وجيشها وأجهزة أمنها، هو الحل. ويجعل، أو يتجاهل أن رئيس الحكومة، كائناً من كان، هو آخر من يملك قراراً في مثل هذه الأمور الخطيرة، ليس في يومنا هذا فقط، بل منذ أول يوم دخل فيه القتل قاسم سليمان إلى العراق واليا وحاكماً يصول ويجول، ويأمر ويطلق.

إن فعود الرئيس الكاظمي بأن تكون جريمة ساحة الطيران هي الأخيرة هي حديث عن السلاطين، ما دام القنلة والإرهابيون قادرين على إهانة الرئيس والرئاسة، والقائد والقيادة، علناً، ثم يخشى الجميع في الحكومة والرئاسة والجيش وجهاز الأمن الوطني أن يردوا على الإهانة ولو بالكلام.

الشنعاء كانت رسالة شموخ وبسالة شعبية لا نظير لها. رُذنا على من سفك دماء العراقيين الطاهرة سيكون قاسياً ومزلزلاً، وسيرى قادة النظام الداعشي أي رجال يواجهون؟

نعم، قد يكون داعش هو الفاعل، ولكن قد تكون جهة أخرى أشد عزيمة وداعش، وأكثر قوة على الأرض، وأقدر على التسلسل والعبور والتنقل الحربيين حواجز الحكومة وستائرنا الإسمتية المحكمة.

وبغض النظر عن اتهامات الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب لسلفه براك أوباما ونائبه الرئيس الحالي جو بايدن ووزارة خارجيته بتأسيس داعش وتسهيل مهمته، بالتنسيق والتعاون مع إيران ونوري المالكي، وبغض النظر عن تاريخ الحرس الثوري وأحزابه العراقية والبنانية واليمينية، وخبرته الشهيرة في تفجير السفارات والمساجد والمدارس وأسواق البسطاء، فإن أحداً لا يبزئ داعش من دماء العراقيين، وقد خبرت الملايين في نينوى وصلاح الدين والأنبار وديالى فجوزة وبشاعة إجرامه.

ولكن تذكروا أن نفس هذه الجريمة، وفي ساحة الطيران، ذاتها، في أيلول

نتائج تحقيقات الحكومة الباسلة، وفي النهاية تسجل الجريمة بعد الجريمة ضد مجهول.

أليس من المحتمل أن يكون الهجوم الذي أعقب مجزرة ساحة الطيران رسالة تكميلية إلى تبصيرهم بأن قبضة إيران هي الممسكة بحالة الحرب والسلام في العراق والمنطقة؟

وجريمة ساحة الطيران هي الأحدث والأبشع والأخطر من كل ما مر من مجازر، والأكثر إعلاناً عن ضعف الرئيس، وجهله، وهوان قدره، وقلة ناصرته المعين. يقول الرئيس "أثبتت شعبياً صلاحية عزمته أمام الإرهاب التفكيري الداعشي. إرادة الحياة لدى أهلنا وهم يتحنون الإرهاب في مكان جريمة الباب الشرقي

الدولة وهيبتها وعدلها. إنه، والحق يقال، يعد بشيء ويفعل نقيضه علناً، ومرة بعد مرة، لا يخاف ولا يستحي.

ففي كل أسبوع، وأحياناً كل يوم، اغتيال أو خطف أو صاروخ يطلقه "مجاهدون" على مطار الدولة فيسقط على منازل المواطنين ويقتل طفلاً أو شيخاً أو امرأة. حتى عرين السيد الرئيس نفسه في المنطقة الخضراء لم يسلم من هدايا فصول "المقاومة".

وفي أعقاب كل جريمة ومجزرة مهينة للدولة العراقية ولسمعتها وأمن شعبها ورزقه اليوم ورزق أجياله القادمة، لا يملك، وهو رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، سوى التنديد والتهديد والوعيد، وسوى حلف اليمين على أن تكون آخر جريمة، وعلى أنه لن يسمح بتكرارها، وسيلقي القبض على الفاعلين، قبل أن ينجف دماء ضحاياهم الأبرياء، وسيزيل حكم القصاص بهم وبين كونهم ومولهم وسلحهم وحملهم بالمفخخات والصواريخ، وأمرهم بأن يدخلوا بها الجنة ويستمتعوا بجور عين، سواء كانوا من داخل الوطن المحتل أو من وراء حدوده المستباحة. ثم لا يحدث شيء، ولا يسمع أحد، بعد ذلك، أو يقرأ شيئاً عن

إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

في دول معيَّنة يكون الرئيس أكبر من الرئاسة، يشرفها ويمنحها قيمة أكثر من قيمتها، وفي دول أخرى، والعراق في طبيعتها، تكون الرئاسة أكبر تكريماً من الرئيس، حتى ليقل إنهما معطف واسع وطويل الأكمال يضع داخله جسد الرئيس.

وذنب رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، مصطفى الكاظمي، أنه قبل أن يتولى قيادة وطن محترق من رأسه إلى أساسه، وهو لا يملك ما يطفى نيران حرائقه المتصاعدة، لا بمؤهلاته الشخصية الفقيرة، ولا بجيشه المرزق، ولا بأجهزة أمنه المخترقة، ولا بوزرائه ومعاونيه، لقد ظلموه وظلموا الشعب العراقي حين حملوه ما لا طاقة له به، وليس له فيه قرار.

في عراق اليوم اختلط الإرهاب الداعشي بإرهاب الميليشيات الطائفية المسلحة، وإلرهاب الثالث الخفي الذي تموله وتامر به أطراف عديدة، داخلية وخارجية، في تبادل متقن للرسائل والبيانات والمحاورات على أرض العراق التي تحولت بسبب الوجود الإيراني وميليشياته الوقحة وسلحه المنفلت إلى ساحة مفتوحة لمن أراد، متى أراد. أما الضحية، وهي سلامة المواطن وهيبة الدولة وانهايار سلطة القانون، فلا تهم أحداً من المتحاورين بالمفخخات والصواريخ، وأما حكومة الكاظمي فـ"شاهد ما شافش حاجة"، تتحدث عن أمور هي أكبر منها ومن كل وزاراتها ومؤسساتها التي لا تملك سوى الكلام.

والثابت والمؤكد والمجرب هو أن العراق سيكون بالف خير، ولن يبقى فيه طرف ثالث، ولا مفخخات ولا صواريخ، ولا داعشي واحد، فقط حين تخرج جيوش الحرس الثوري الإيرانية والعراقية من حياته، لتنهض من جديد دولة العراق المستقلة الموحدة الديمقراطية التي تحترم نفسها وشعبها بلا حدود ولا قيود.

وكان علينا أن نغذر السيد الرئيس لو أنه لم يتعهده، في أول يوم له في الرئاسة، بأن يكون الشهيد الحي الذي سيرفع الزير من اللير، وسيقبل الدنيا على رؤوس المختلسين والمزورين، وسنقتض من قنلة المتظاهرين، وسيستعيد سيوف

